

قلنا ان هذه هي الاثره بعينها فان هذه من المنافع الخاصة بفريق دون آخر بل هي من تضحية قوم لقوم على ان شرائع العدل الطبيعي لا تجيز ان يبلغ الى الثروة على اجسام الرجال ولا ان تشرى البلاد بالنفوس الغوال ألا ما لزعماء الاصلاح واهل النور ودعاة التمدن وارباب الاحكام وواضعي الشرائع قد صمّت آذانهم وصمّت افواههم وسدل ذكر الفوز ستاراً على ابصارهم فهم لا ينظرون وقد كانوا من قبل ينادون بسمو فطرة الانسان وعلو شأنه في الوجود وصيانة حقوقه وحفظ كرامته واجتناب مضرته فما بالهم لا يبالون بالالوف منه تسقط تحت حدود السيوف وتتناثر اشلاؤها في مجازر الوغى وتهدم ديارها وتغنم اموالها ويغصب عقارها وتذهب نساؤها وعيالها فريسة الجوع والشقاء وسائر انواع البلاء

افي العدل ان يرفع احدهم يده الى السماء متهدداً باسم الشرع كل فرد من الامة يعتدي على اخيه او يغصب حقاً من حقوقه ثم يسلمه باليد الاخرى سيفاً ويأمره ان يذهب ويقاتله حتى اذا عاد ظافراً نال على ذلك اسنى المكافاة وعد من عظماء الرجال

اوليس من الغريب انهم يجتهدون في اختراع اشد الآلات فتكاً واعظمها ابادة وتدميراً فيرسلونهم الى ميادين الحرب ثم يصحبونها باعضاء جمعيات الرحمة لمداواة المرضى واساوة المجروحين . فكيف يكون بعد تلك القسوة شفقة ام هل يجتمع الظلم والرحمة والعنف واللين . لا جرم ان تلك فصول تمثيل مضحك يموء بها على عيون الناظرين فيشتغلون بلهوها عن ان يسبروا غورها وما زال الانسان وحشي الطبع وان تنكر تحت ثوب

الانس والرقعة تمويهاً وزوراً وتستتر بما يسميه تمدناً وهو عن التمدن بمراحل ويسألون متى يتاح للمجتمع الانساني ان يتمتع بنعيم السلام وهناءة الالفه والوئام فيطرح السلاح وتلغى الحروب وتنقضي الغارات وتبطل الفظائع وتنصرف الامم الى اصلاح شؤونها والتوفر على اسباب سعادتها ونعيمها وهل يدخل الانسان ذلك الطور في احد عصوره ام تبقى تلك الامنية في رؤوس بعض عظماء الرجال لا تخرج عن حيز التمثيل والخيال . وهيهات ان ذلك لما يستحيل بلوغه على الانسان وهو على ما عرف به من الطمع والاثرة التي غرستها فيه يد الفطرة فليس ينزع عنه الا بتوالي العصور وتنام انتشار العلم والمعارف حين تتطهر الاهواء وتعلو النفوس فلا يساق افراد الامة الى طريق الخير كرهاً وهم جاهلون المصير بل يسمعون اليه عن رغبة واقتناع . وان قيل ان امتداد التمدن لا يكفل بلوغ تلك الغاية لانه يشاهد بامتداده امتداد الشرور وبانتشاره انتشار فظائع جديدة لم تكن معروفة من قبل فهو غير قادر ان يستأصل من الفطرة الانسانية ما لازمها من الخواص الحيوانية قلنا ربما لا يصعب على الطبيعة التي تخفض الجبال وترفع السهول وتغير وجه البسيطة في كل زمان ان تغير شيئاً من فطرة الانسان

موسى صيدح

عدد السبعة

لحضرة الفاضل ميخائيل افندي اسطنبولية في دمشق

(نمة ما في الجزء السابق)

وقد بقي في كلامهم عدة آثار تدل على اعتقادهم الفضل والقوة في السبعة

فمنها قولهم للمقتدر أخذه أخذ سبعة وعذبه عذاب سبعة وسبع الله لك اي اعطاك الله اجر ك سبع مرات او سبعة اضعاف

وبعد الجاهلية انزال القرآن على سبعة احرف اي سبع لغات من لغات العرب وكون الفاتحة سبع آيات وهي المدعوة احياناً بالسبع المثاني وقول المستشهد لا اله الا الله سبع كلمات وان السماوات سبع والارضين سبع وابواب جهنم سبع والطواف بالكعبة سبع مرات والحصى التي يرمى بها في الحج سبع وهي المدعوة بالجرمات وان سحرة فرعون كانوا من سبع مدائن ومن بعض الآيات التي جاء فيها ذكر السبعة قوله في سورة التوبة « ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » وفي سورة الاعراف « اختار موسى قومه سبعين رجلاً » وفي سورة البقرة « مثل الذين اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل » وآيات كثيرة غير هذه طابق فيها ذكر السبعة لما ذكر عنها في التوراة فلا حاجة الى تعدادها

وفي الحديث قوله « المؤمن يأكل في معي واحد والكافر في سبعة امعاء » وقوله « اذا ولغ الكلب في اناء احدكم فليغسله سبع مرات احداهن بالتراب » و « اذا هم احدكم بامر فليستخر ربه فيه سبع مرات » وغير ذلك وقد رأيت في مكتبة الملك الظاهر في دمشق في جملة كتب لرجل من الصالحية يدعى يوسف بن عبد الهادي اسم رسالة يدل عنوانها على انه قد استقصى فيها جميع الاقوال والافعال النبوية المذكور فيها عدد السبعة والعنوان هو « السبعائيات الواردة عن سيد السادات »

ولا بأس ان اذكر هنا بعض آثار السبعة في تاريخ الدروز كان الحاكم

بامرهم وهو سابع خلفاء مصر من الفاطميين يقول ابي علي وامي فاطمة بنت النبي يقول ذلك على المنبر كل سبعة ايام ولبس الصوف سبع سنين ومنع النساء من الخروج الى الطرقات ليلاً ونهاراً قال ابن خلكان كانت مدة منعهن سبع سنين وسبعة اشهر

وفيا خلا الدينيات كون بنات نعش في السماء سبعة كواكب واجتماع سبعة انجم في الثريا قال الشاعر

خليلي اني للثريا لحاسد واني على ريب الزمان لواجد
ايجمع منها شملها وهي سبعة وافقد من احبته وهو واحد

واعتقادات القدماء ان السيارات سبع والمعادن سبعة والبحار سبعة والاقاليم سبعة وكون طبقات الموسيقى سبعاً واجتماع سبعة الوان في قوس قزح وغير ذلك مما اضرب عنه صفحاً

ولم تخل المنظومات ايضاً من آثار هذا العدد فقد عدوا للشقاء سبع كافات جمعها ابن سكرة في قوله

جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كيس وكن وكانوز وكأس طلاً بعد الكباب وكف ناعم وكسا

وعدد بعضهم في مقابلتها سبع ميات للخريف فقال

جاء الخريف وعندي من حوائجه سبع بهن قوام السمع والبصر
موز ومز ومحبوب ومائدة ومسمع ومدمام طيب ومرية

وقال المتنبي مفتخرًا بسبعة

الحيل والليل واليضاء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وعارضه أبو الحسين الجزار بسبعة فقال

للحم والعظم والسكين تعرفني والقطع والخلع والساطور والوضم
وقد بقي غير هذا الذي أوردته أمثلة متعددة في التنجيم والسحر
وسائر العلوم والفنون وإنما ذكرت قطرة من بحر ولو أردت أن استقصي
للزمني مجلد كامل . ومن هذا القليل الذي سرده يُستدل على شرف هذا
العدد وعظم أهميته في الأديان كافة وعند الشعوب قاطبة وقد انفرد بالشهرة
دون غيره من الأعداد وكان له من الآثار في تواريخ الأمم ما ليس لسواه
وقد جاءت أقوال مختلفة في أسباب هذه الخاصية التي له فقال بعض
الشرقيين السبعة عدد كامل لجمعه العدد كله إذ العدد إما أزواج أو أفراد
فالأزواج الاثنان والأربعة والافراد الثلاثة والخمسة وإما الواحد فليس بعدد
على المشهور فإذا جمعت الزوج الأول وهو الاثنان مع الفرد الثاني وهو
الخمس أو الزوج الثاني وهو الأربعة مع الفرد الأول وهو الثلاثة كان مجموع
كل منهما سبعة وهذا التفسير على ما فيه من الذكاء لا يكشف سرّاً ولا
يبين مغزى لأن الشعوب قديماً من سكان المدن والقفار حين اقبلوا على
تعداد السبعة في معتقداتهم وعوائدهم واحتفالاتهم لم يكونوا يعلمون هذه
الخاصية المستنبطة . وقال آخرون إن السبعة إنما شاعت هذا الشيوع وعمت
سائر الأحوال الدينية والمدنية لما كان عليه الناس قديماً من عبادة الكواكب
السيارة السبعة فاعتبروا لذلك هذا العدد مقدساً وجعلوه أساساً لكل
تقسيم لهم ولذلك وجدت آثاره على أكثر الابنية الدينية القديمة عندهم كما
مر بنا سالفاً . وجعل بعضهم الرمز في ذلك كله إلى أيام الأسبوع وكلا

القولين وإن صح بعضه في زمن فلا يصح في زمن آخر لأن تقسيم الأيام
إلى أسابيع لم يكن من وضع الناس وكثيراً من معدودات السبعة وجدت
في حين لم يكن للفلك والكواكب تعداد أو علم يُعرف والارجح أن هذه
المزية التي آثر بها الناس عدد السبعة على ما سواه من الأعداد مسببة
عن اعتقاد كونه مقدساً ولذلك قال فرجيل الشاعر اللاتيني من شطرييت
ما تعريبه أن الآلهة تحب العدد الفرد

ومن قرأ أسفار الوحي خاصة ورأى كم ذكر هذا العدد في كلام الله
عز وجل ووصاياه مما نقلت بعضه في ما سبق حكم أن تفضيل السبعة على
ما سواها وشيوعها هذا الشيوع في المعتقدات والعادات والمصطلحات ليس
من باب العبث أو الانتقاص وإنما هو ناشئ عن سبب أوجبه ولعله كان
نظراً لخلق الله العالم في سبعة أيام واستراحته في السابع منها قال في سفر
التكوين وبارك الله اليوم السابع وقدّسه لأنه فيه استراح من جميع أعماله
فلما بورك اليوم اعتبر العدد نفسه مباركاً وشاع ذلك الشيوع الذي نقلت
من بعض آثاره قليلاً من كثير . ولست أريد بهذا أن عدد السبعة نفسه
قُصد بالبركة ولكن لحقته البركة من طريق الظرفية أي بما أنه كان ظرفاً
وزماناً لليوم الذي فيه استراح الله لا أنه مقصود بذاته بحيث لو كانت
قد حصلت هذه الاستراحة في اليوم الخامس مثلاً أو غيره لاعتبر الناس
ذلك العدد مباركاً وادخلوه في كل معدود لهم والله أعلم بالصواب